

النتائج المستخلصة

أولاً: فى مجال الوطن:

- ١ - ترجع أهميته إلى أنه البداية التى يبدأ المواطن العيش فيها، وفيه يولد وفى بيئته يتربى، وأن فطرته التى فطر عليها لتتأثر أول ما تتأثر بموطنه وسكنه ومحل إقامته الأول.
- ٢ - كما يستفاد من المواطن فى اتخاذه عنواناً للمواطن تصل عليه مراسلاته ويستقر فيه بأسرته راعياً لزوجته وأولاده فهو عشه الذى يلقي عنايته وتحتاج إلى بذل اهتمامه.
- ٣ - إن الحب الصادق المخلص النابع من الفطرة والقلب إنما يتجه بطبيعة الحال إلى المواطن محل الإقامة ومستقر العائلة.
- ٤ - يتجلى الشوق ويظهر الحنان عند أى مفارقة للموطن. فعند الانتقال بعيداً عن الوطن يشعر بالحنين والشوق إلى مكان نشأته ومستقر حياته.
- ٥ - لن يتعارض كل ما سبق مع الشريعة الإسلامية بل على العكس من ذلك فإن الإسلام يزكى العواطف النبيلة ويبارك الشعور الطيب.

٦ - إن وجود المواطن فى الوطن يمكنه إسلامياً من القيام بواجباته الإسلامية، حسبما وردت فى كتاب الله وفصلتها سنة رسول الله ﷺ ، وذلك على النحو الآتى :

(أ) بر الوالدين وصلة الرحم: كيف يتم ذلك لو لم يكن الإنسان فى موطنه. فى هذا الوطن يكون المواطن ملاصقاً لأبويه أو قريباً جداً منهما فيتمكن فى سهولة ويسر من البر بهما إعمالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١).

(ب) الوفاء بحق الأقارب: كما يستطيع المواطن أن يَفِيَّ بحق الأقارب لقربهم من محل إقامته تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾^(٢) فإن المواطن سيؤتى حق القريب الذى يحل قريباً من محله وموطنه ويراه ويشعر بحالته ويتعرف إلى احتياجاته محققاً بذلك من جهة أخرى صلة الرحم.

(ج) حق الجار: كما أن وجود المواطن فى الوطن يضعه فى تجاور من آخرين وهم الجيران: الجار ذو القربى والجار

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

الجنب مما يفرض عليه حق الجوار امتثالاً لقول الله تعالى :
﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾^(١).

٧ - إن الوطن ليعضد الروابط إن يضيف إلى رابطة الدين
ورابطة الرحم ورابطة الجوار رابطة التألف بالإقامة في بقعة
من الأرض والاستظلال بسماء واحدة والتعايش بأسلوب واحد
في الحياة وكل هذه الروابط تقوى وتدعم المواطنة.

ثانياً: في مجال المواطنة:

١ - تتسع دائرة الوطن لتتسع معها دائرة الانتماء من كل
مواطن. فيصبح ولاؤه وانتماؤه، يتسع فيشمل مدى وطنه أرضاً
وسماءً وبراً وبحراً وفضاء ويفخر بهويته.

٢ - يدافع عنه ضد من يحاول الاعتداء عليه بأية صورة من
صور الاعتداء في حالة الحرب، ويتغنى باسمه في الأناشيد
صغيراً وفي المناسبات كبيراً ويحيى رمزه في العلم ويهتف
باسمه في طوابير المدارس والمعسكرات والتدريبات.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

٣ - ينتقد البعض تحية العلم ويعتبرها نوعاً من الوثنية وإن كانت بعد التأمل فيها تحمل رمز الوطنية، وتعتبر تعبيراً عنها. إذ ليس هناك عند من يرد على من يدعى أنها وثنية غير تلك الوسيلة للتعبير عن الوطنية والولاء وغرس ذلك في نفوس النشء.

٤ - من منظور إسلامي فإن دائرة الوطن في وضعها الحالي لا تتفق مع الإسلام وإنما هي تمثل أوطاناً متفرقة تفصلها حدود ونباعدها المسافات وتختلف داخلها نظم الحكم: فمنها ما لا يطبق أحكام الشريعة، ومنها ما يطبق جوانب منها، ومنها ما يضع مادة في الدستور بأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع. ولكن الواقع التشريعي لا يطابق هذه المادة إذ إن بعض التشريعات تتعارض مع الشريعة الإسلامية وهي باقية دون عرض على الشريعة، وبالتالي عدم تعديلها. ومن هذه الأوطان من يقاوم الشريعة الإسلامية ويعارضها.

٥ - إن واقع الوطن الإسلامي الحالي هو الذي يمكن أعداءه أن يكيّدوا له ويبثوا بذور الفتنة والتفرقة بين مواطنيه، مما يجعله يعاني من التمزق والتشتت والتفرق. ومنعاً لهذا التدخل الخبيث الماكر من الأعداء لابد من الاعتصام بحبل الله جميعاً ولا بد من التنبيه لما يدبره هؤلاء الأعداء وما يستغلونه من فرص

وما يستخدمونه من وسائل حتى نفسد عليهم تدبيرهم ونبطل مكرهم. ولا بد للمسلمين أن يعودوا إلى التمسك بما جاء بكتاب الله وما شملته سنة رسول الله ﷺ والعمل بمنهج الله الذى ورد بهما فلن يصلح حاضر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٦ - لكى يتحقق الوطن الإسلامى وهو ما يعرف بدار الإسلام لابد أن تُزال هذه الفوارق المادية من حواجز حدودية وموانع مسافية ولا بد أن تنمحي الخلافات الجوهرية فى تطبيق شريعة الله ، وأن تسود جميع هذه الأوطان جميعاً حتى تحقق صالح البشرية فى العالم كله تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) (١).

٧ - فى إطار الوطن الإسلامى (دار الإسلام) تتحقق المواطنة بمنظور إسلامى ، ويمكن عندئذ أن تؤتى ثمارها عند ممارستها.

ثالثاً: فى مجال المواطن:

١ - أما خلاصة ما جاء بالكتاب عن المواطن فإنه الإنسان وهو موضع الارتكاز فى هذا البحث كما يقولون هو قطب الرعى الذى يدور حوله لأنه هو الذى يقيم فى الوطن كمحل

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

للإقامة الذى هو جزء من الوطن، كما أنه هو الذى يمارس المواطنة فى موطنه ووطنه، ويباشر الحقوق المخولة له ويؤدى الواجبات المفروضة عليه.

٢ - فى منطق الدولة الحديثة المواطنة للشخص الطبيعى والاعتبارى الذى يتجنس بجنسية الدولة ويكون من رعاياها ويحمل لقبها، ويدافع عن ترابها ويحى علمها ويهتف باسمها فى المواسم والأعياد الرسمية.

٣ - إن هذا الموطن فى ظل الدولة الحديثة، وتحت رعاية السلطات الثلاث: السلطة التشريعية التى تسن القوانين والتشريعات. والسلطة التنفيذية التى تنفذ هذه التشريعات والقوانين بإصدار اللوائح التنفيذية والقرارات. والسلطة القضائية التى تطبق هذه القوانين فى المحاكم القضائية وتراقب اللوائح والقرارات فى مجلس الدولة، وما يشرف عليه من محاكم إدارية تحت هذه السلطات واختصاصاتها ويتمتع بالحقوق المتنوعة :

(أ) الحقوق السياسية التى تمكنه من المشاركة فى الحياة السياسية بحق التصويت فى الانتخابات فى المجالس النيابية والشعبية ومجالس إدارات النقابات والجمعيات الأهلية والشركات والاتحادات بأنواعها.

(ب) الحقوق المدنية: التي يتسع نطاقها إلى أنواع أخرى متفرعة منها:

مالية: تقوم بالمال وتمكن المواطن من التعامل فيها والتصرف، ومن أمثلتها حق الملكية وحق الانتفاع. وغير المالية: لا تقوم بالمال كالحقوق الأسرية (ولاية الأب والوكالة).

(ج) الحقوق العينية والشخصية والذهنية: فالعينية: منها الأصلية كحق الملكية والسكن والحكر والاتفاق، ومنها التبعية كالرهن الحيازي والرسمى والاختصاص أو الامتياز. والشخصية: الرابطة بين الدائن والمدين للقيام بعمل أو الامتناع عنه. والذهنية: كحق المؤلف على مؤلفه والمخترع على براءة اختراعه، وهناك حقوق أخرى كفلها القانون للمواطن أمام الشرطة والنيابة العامة والقضاء. ويمكن إيجازها فيما يلي:

■ في مواجهة الشرطة: هناك إجراءات تمس حرية المواطن وتقيّد حقوقه في هذا المجال، ولذلك تحرص القوانين على تنظيمها بما يحمي المواطن ويحافظ على حريته وحقوقه، وفي ذات الوقت بما يمكن الشرطة من أداء واجبها ووظيفتها في حفظ الأمن وحماية باقي المواطنين. فكأن هذه الإجراءات التي

أوردها القانون أحدثت التوازن بين حق المواطن والمحافظة على حريته فى ذات الوقت وحماية باقى المواطنين، وهذه الإجراءات نوجزها فيما يلى :

■ الاستيقاف : ما يستتبعه من اقتياد إلى قسم الشرطة.
ولا يجوز إلا بشبهة أو ريبة ظاهرة.

■ القبض : هو إجراء خطر على الحرية لأنه قيد عليها ولا يجوز إلا من مأمورى الضبط القضائى وكانت الجريمة مما يجوز القبض فيها.

– التعرض المادى : هو وسيلة للحيلولة دون فرار المواطن فى حالة التلبس فى جريمة لتسليمه إلى السلطة المختصة بالتحقيق، وعندئذ يكفل هذا الحق حق المواطن الآخر العادى فضلاً عن رجل الشرطة بصرف النظر عن الضبطية القضائية لأنه إجراء تقتضيه الضرورة وحتى لا يفلت مجرم من العدالة.

■ التفتيش : فى جميع أحواله : تفتيش المتهم المواطن أو مسكنه وملحقته من حق من له صفة الضبطية القضائية. فإذا كانت المواطنة أنثى فلا يتجاوز تفتيش شخصها إلا المباح من جسمها فى إطار (الوجه والكفين والقدمين) وإلا كان التفتيش فيما جاوز ذلك لامرأة تندب لذلك. وتفتيش شخص آخر غير

المواطن المتهم لا يجوز إلا إذا كان فى المسكن الذى به المواطن المتهم وقامت قرائن قوية على إخفائه ما يكشف الحقيقة أو بدا عليه الارتباك وتفتيش المسافرين إلى الخارج أو القادمين فى المناطق الجمركية يعتبر إدارياً لا قضائياً يقوم به موظفون عموميون ، ومن فى حكمهم فإذا أسفر عن جريمة فى حالة تلبس صح التفتيش ، وكذلك تفتيش العمال وزوار المصانع عند البوابات صحيح ويرجع إلى إرضاء المواطنين وقبولهم ووفق نظام موضوع فإذا أسفر عن حالة تلبس اعتبر صحيحاً.

■ أما النيابة العامة: فىحق لها استجواب المواطن المتهم فإذا تبين لها عدم وجود أدلة كافية لإدانته أفرجت عنه بدون كفالة أو علقت الإفراج على دفع كفالة يقدرها وكيل النيابة فى أمر الإفراج ويدفع فى خزانة المحكمة كضمان التزام المواطن المتهم بالحضور وقيامه بالواجبات الأخرى. وقد تأمر بحبسه احتياطياً – وإن كان القانون قد عدل فيما يتعلق بجريمة النشر – كما لا يوجد فى القانون حبس مطلق. وخلال مدة الحبس إما أن يصدر الأمر بالإفراج بكفالة أو بدون حتى يستوفى التحقيق ، وإما أن ترى النيابة أن التهمة غير صحيحة أو أن الفعل لا يعاقب عليه القانون أو أن أدلة الجريمة غير كافية فتصدر

أمرها بالإفراج بكفالة أو بدون وإن كانت وجدت جريمة من أى نوع فإنها تأمر برفع الدعوى إلى المحكمة المختصة.

■ حضور المحامى: لا مانع منه أثناء تحرير محضر الأحوال أمام مأمور الضبط القضائى وإن كان القانون لا يلزمه بهذا الحضور وإذا منعه لا يكون المحضر باطلاً. أما إذا كان التحقيق بناء على ندب من النيابة العامة أو أمامها فلا يمكن منع المحامى من الحضور.

■ حقوق المواطن أمام القضاء: من حق المواطن أن يرفع قضية أو يتابعها أمام المحاكم حسب تدرجها واختصاصها كالاتى: المحكمة الجزئية: من قاض واحد، وتنظر المخالفات والجنح كدرجة أولى.

■ محكمة الجنح والمخالفات المستأنفة: من ثلاثة مستشارين وتنظر الجنايات والجنح التى تقع فى دائرتها.

■ محكمة الأحداث: توجد دائرة فى كل محافظة من قاض واحد ويعاونه خبيران من المتخصصين: أحدهما على الأقل من النساء وتنظر الجرائم التى يرتكبها الحدث أيًا كان نوعها.

■ محكمة النقض: مقرها عاصمة الجمهورية (القاهرة)، وتشكل من عدة دوائر لنظر القضايا الجنائية والمدنية

والتجارية والعالمية والأحوال الشخصية وتصدر أحكامها من خمسة مستشارين، وتقتصر وظيفتها على مراقبة تطبيق القانون وتفسيره وسلامة إجراءات الدعوى وتنظر الطعون فى أحكام محكمة الجنايات أو الجرح المستأنفة غير المخالفات.

■ المحكمة الدستورية العليا: مقرها العاصمة (القاهرة) وتختص بالرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح، والفصل فى تنازع الاختصاص وتفسير نصوص القوانين وتصدر أحكامها من سبعة مستشارين.

حق المواطن المتهم بعد الحكم:

١ - المعارضة فى الحكم: إذا صدر غيابياً من محكمة الجرح والمخالفات المستأنفة ويترتب عليها وقف تنفيذ الحكم الأول حتى يصدر الحكم فى المعارضة.

٢ - الاستئناف: أما محكمة الجرح والمخالفات ويوقف التنفيذ إلا فى الأحكام واجبة النفاذ كالحكم على المتهم العائد (التائب).

٣ - النقض: فى الأحكام الصادرة فى محاكم الجنايات والجرح المستأنفة ولا يجوز فى المخالفات، ولا فى الجرح التى لم يطعن فيها بالاستئناف.

٤ - طرق أخرى: طلب إعادة نظر: لا يجوز إلا فى الأحكام الصادرة بالعقوبة دون الصادرة بالبراءة فى الجنایات والجنح فقط.

إشکالات التنفيذ: هى تنشأ عند تنفيذ الحكم بسبب غموضه أو ظهور بطلانه أو انعدامه ويقدم من المحكوم علیه إلى محكمة الجنایات وجميع القضايا المرفوعة فى الطعن - ولا يجوز أن يضار المواطن الطاعن بمعنى أنه لا يجوز الحكم فى الطعن بالتشديد وإنما بالتخفيف أو الإبقاء أو الإلغاء.

وقبل أن ننساق فى موضوعات النتائج الباقية بالنسبة للمواطن فإنه يجب أن نتوقف هنا لنعرض فى النتائج المنظور الإسلامى لتعريف المواطن بحقوقه ثم نتابع باقى الموضوعات.

المواطن وحقوقه من منظور إسلامى:

تعريف المواطن إسلامياً: المواطن فى الإسلام هو الإنسان المكرم المستخلف فى الأرض والحامل للأمانة والذى يستوطن دار الإسلام فى أى مكان فى العالم كله. فشمولية الإسلام وعمومية رسالته واتساع نطاق شرعيته تمتد لتحتوى المسلمين بل غير المسلمين فى أرض الله الواسعة. وذلك مفهوم الآية

الكريمة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨) ﴿١﴾.

وإن الوضع القائم لا يتناسب ولا يتفق مع ما يتطلبه الإسلام حيث تقوم الحدود والموانع بين الدول والدويلات بما يشتمل المواطنين ويفرق جمعهم وكل دولة تحتوى على مواطنين يدينون لها بالانتماء والولاء. بينما كان يتطلب وضع الشريعة الإسلامية أن يكون الانتماء أصلاً للأمة الإسلامية والولاء حقيقة لدار الإسلام مهما ترامت واتسعت حتى يتحقق للمواطن الإنسان الكرامة والاستخلاف ويكون جديراً بحمل الأمانة التي ارتضى أن يحملها بعد أن أثبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها.

حقوق الإنسان المواطن فى دار الإسلام:

١ - بداية يلزم التأكيد على أن ما تقرره القوانين والدساتير فى الدول الحديثة لا يمكن رفضه كله وإنما يعرض على قواعد الشريعة الإسلامية فما تقره ويتلاءم مع أصولها الفقهية يكون

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

متقبلاً ويمكن الأخذ به وتطبيقه تمشياً مع مبدأ المعاصرة أى
ملاءمة الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.

٢ - من جهة أخرى يلزم الإيضاح مقدماً كذلك بأن الحقوق
التي تقررت للإنسان المواطن فى الشريعة الإسلامية تقررت
له باعتباره إنساناً وليس باعتباره مسلماً فقط. وبمعنى آخر
فإن هذه الحقوق هى مقررة للمسلمين وغير المسلمين الذين
يعيشون معهم فى دار الإسلام ويستوطنون هذه الدار وفقاً
للقاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا). ما لم يصدر منهم ما
يخل بمسألة المسلمين من غدر أو خيانة أو معاونة لأعداء
المسلمين أو ما لم يظهر منهم العداء والمناوأة للمسلمين. وكذلك
يلزم إبراز تساوى عنصرى المجتمع الوطنيين من الرجال
والنساء فى هذه الحقوق إلا ما فضل الله بعضهم (الرجال) على
بعض (النساء) للحكمة فى الخلق والطبيعة البشرية أو بإنفاق
الرجال من أموالهم.

الحقوق المتقابلة بالواجبات:

بعد كل ما سبق نستعرض الحقوق المتقابلة بالواجبات فيما
يلى بإيجاز:

الحق الأول: حق الحياة: حفاظاً عليها وحماية لها حتى من نفس المواطن.

والواجب: هو التزام المواطن الإنسان بالمحافظة على حياته وصرفها في طاعة الله عبادة وعملاً صالحاً في وجوه الخير.

الحق الثاني: حق الحرية: فلا تكون العبودية إلا لله وتكون الحرية للمواطن بكل صورها كحرية العقيدة وحرية الرأي وحرية التفكير محدودة بما لا يضر الغير وبالآداب العامة. والواجب الالتزام بحدود الحرية وعدم تجاوزها حتى لا تكون فوضى.

الحق الثالث: حق المعلم: من المهد إلى اللحد. والواجب: أن يكون علماً نافعاً للمواطن ولدار الإسلام وألا يكتم عن طالبه وألا يشتري به ثمناً قليلاً وأن يطلب من أهله.

الحق الرابع: حق التملك: نتيجة تسخير الله ما في الكون للإنسان المواطن فله حق التملك في الحدود المشروعة والمفصلة بالشريعة الإسلامية.

الواجب: أن يكون التملك بالأساليب التي أحلها الله وأن تستخدم فيما أحل الله.

حقوق أخرى، شملها التكافل بأنواعه الآتية:

التكافل بين المواطن وذاته، وبينه وبين ذوى قرباه، وتكافل جماعة المواطنين إزاء نفسها، والتكافل بين المواطن والجماعة، وتكافل المجتمع الإسلامى مع نفسه.

أما صور التكافل: فتتمثل فيما يلى: زيارة المريض، إطعام الجائع، وصلاة الجمع والجماعة، والإنابة فى الحج، والتضامن مع الموتى.

وهناك ألوان أخرى من التكافل: هى التكافل الأدبى، والسياسى والدفاعى والجنائى والأخلاقى والاقتصادى والعبادى والعلمى والحضارى والعائلى والمعيشى، ونوع يتميز بالعجز عن الكسب كلياً أو جزئياً على النحو السابق تفصيله لكل لون. موارد التكافل: الزكاة كفريضة، وزكاة الفطر، والكفارات والركاز والغنائم والوقف الخيرى والتبرع فى أوجه الخير والنذور والأضاحى والكفاية والخزانة العامة حسبما سبق إيضاحه.

مجتمع مواطنى دار الإسلام:

منذ تكوين الدولة الإسلامية ونشأتها فى السنة الأولى من الهجرة صدر منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أول دستور

للمواطنين هو دستور المدينة. والذي سوى بين المسلمين وغير المسلمين فى الحقوق والواجبات ثم جاء التطبيق العملى فى السنة العاشرة من الهجرة على نصارى نجران، وتتابعت بعده التطبيقات فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى ومن بعده خلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيون.

فى الأمثلة السابق ذكرها وفى هذا المستخلص الختامى نستعرض مقومات مجتمع المواطنين الإسلامى ومن بعد ذلك خصائص هذا المجتمع الإسلامى. وأخيراً سمات الأمة الإسلامية باعتبارها وعاء لهذا المجتمع. كل ذلك على أنه الغالبية المستوطنة لدار الإسلام ثم تسرى بعد ذلك قاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) على غير المسلمين من المستوطنين المشاركين للمسلمين فى دار الإسلام.

أولاً: مقومات مجتمع مواطنى دار الإسلام:

يقوم على المميزات الآتية التى تسمو به:

١ - مؤمن: إيمانه يعصمه من الزلل والانحراف إلى الفسق والفجور.

٢ - متساو: المساواة من المبادئ الأساسية التى تجمع مواطنيه مهما اختلف جنسهم أو عقيدتهم أو لغتهم أو ثقافتهم فيكفى أن

تجمعهم دار الإسلام وتظلمهم شريعته السّمحاء يقيم شعائرها المسلمون، وتسمح لغيرهم أن يقيموا شعائهم حسب دياناتهم.

٣ - حر: الحرية بأنواعها العقائدية والفكرية والسياسية غير مقيدة إلا بما يضر الغير أو يخل بالآداب والنظام العام.

٤ - مسئول: كل مواطنى هذا المجتمع مسئول فى نطاقه (الأسرة، العمل والسياسة).

٥ - عادل: تسود العدالة أحكام المعاملات وقواعد السلوك بين المواطنين فى علاقاتهم المتنوعة.

٦ - متكافل: يسود المجتمع بمختلف مواطنيه ومستوياتهم المتنوعة ألوان وصور التكافل المتعددة حتى يتحقق للمجتمع التعاطف والتراحم.

٧ - عامل: فالعمل والنشاط فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة أساس قيام المجتمع ومواطنيه وداعية تقدمه ورقية.

ثانياً: خصائص مجتمع دار الإسلام:

إن المنهج الربانى الذى يركز عليه وجود مجتمع دار الإسلام يجعله مختصاً بخصائص نظهر فيه دون سواه من المجتمعات الأخرى وأهمها ما يأتى:

١ - ذو طبيعة خاصة: حيث أوجده إرادة الله وصنعه شريعته بوحى منه.

٢ - مصنوع لا مطبوع: صنعه القدرة الربانية محتويًا البشرية لتنشئتها وفقًا لمنهاج إلهى نزل به الوحي.

٣ - محاط بسياج من الشريعة: ليحيط بالمجتمع حاميًا له من الانحرافات والزلل دون أن يكون قيدًا على تطوره ونموه.

٤ - يسائر الفطرة البشرية السليمة لأن المنهجية من الله الذى خلق الإنسان تصديقًا لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) (١).

٥ - نشأ بحكم الضرورة: إذا كانت الحاجة ماسة إليه حتى يحتوى المسلمين المكونين له ويتعايش غير المسلمين فى ظل التسامح.

ثالثًا: سمات الأمة الإسلامية فى دار الإسلام:

١ - قيمية: تبرز قيم المحبة والتكافل وخشية الله والبر بالوالدين وصلة الرحم.

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

٢ - متماسكة: تتوحد وتتربط من خلال الاعتصام بحبل الله المتين.

٣ - ملتزمة: بفعل الخير والحض عليه وترك الشر والنهي عنه.

٤ - متضامنة: تتعاون وتتناصر وتتكافل فى محبة وتعاطف وتواد.

٥ - متميزة: وتمايزها قائم على أساس الإيمان وهو عقائدى.

٦ - مسالة: يسود السلام مواطنيها وتعمهم المحبة، كما أنها مسالة مع غيرها ممن هم على غير دين الإسلام إلا إذا اعتدوا.

٧ - مجاهدة: مقاتلة فى سبيل الله دفاعاً عن الدين والنفس والعرض والعقل والمال.

٨ - عزيزة غير مهانة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾^(١).

وفى الوثيقة البيضاء ترى الأسرة الدندراوية أن الكيان الإسلامى لى يكون قوياً ومثالياً يجب أن يتكون من أفراد مواطنين بفئات أربع هى:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

فئة المال: فهو عصب الحياة وفيهم الغنى والفقير.
فئة القوة: فهي دفع الحياة وفيهم القوى والضعيف.
فئة العلم: فهو تقدم الحياة وفيهم العالم والأمى.
فئة النفوذ: فهو نظام الحياة وفيهم الراعى والرعية.

رابعاً: فى مجال المواطنة:

١ - فى نهاية النتائج المستخلصة نأتى إلى الموضوع الرئيسى فى هذا الكتاب، وهو المواطنة التى يمارسها ويشارك بها المواطن الذى يقيم فى الوطن الذى هو جزء من الوطن، فالمواطنة هى الثمرة التى يتوصل إليها الباحث بعد دراسته للمواطن المقيم فى موطنه المقتطع من وطنه الكبير.

٢ - مفهومها: (أ) هى تعنى فى الدولة الحديثة الرابطة التى تقوم على علاقة الجنسية بين كل من يحملها.
(ب) وهى تعنى فى الإسلام انتماء الإنسان إلى دار الإسلام الذى يقيم فيه ويتمتع فيه بحقوقه ويلتزم فيه بواجباته.

٣ - تتمايز بمفهومها السابق عن المفاهيم الآتية:
عن الهوية: بمعناها الحديث التى تتكون لدى الأمة والشعب والمواطن فى حلقات متتابعة.

وعن القومية العرقية : التى يبلورها الانتماء إلى مجموعة بشرية جمعها التاريخ واللغة.

وعن الوطنية : هى عاطفة تنبع من حب الوطن والاندماج فى مقوماته.

وعن السياسة : التى تعنى إدارة شئون الناس العامة والتفكير فيها والتخطيط لها.

وعن الديمقراطية : التى تعنى حكم الشعب بالشعب وللشعب بأساليب الشورى.

وعن الحرية : التى تعتبر حقاً من حقوق المواطنة.

وعن القانون : الذى يعتبر وسيلة من وسائل تنظيم المواطنة ومباشرتها.

وعن العدالة : التى هى إطار يجب أن تباشر المواطنة وتمارس من خلاله.

وعن حقوق الإنسان : التى تسود العالم كله ويعترف بها. وحقوق المواطنة نوع وفرع منها.

٤ - صور المواطنة : تتراءى فى أربع صور حديثة رئيسية هى كما يأتى :

(أ) الصورة الجماعية: تتضمن المشاركة والخدمة الاجتماعية من أجل المنفعة العامة، فهي تركز على المشتركات الضمنية: الثقافة والقيمة الأخلاقية التي يشترك فيها المواطنون مستهدفين الحفاظ على المستوى الأخلاقي والثقافي الراقى.

(ب) صورة الجمهورية المدنية: تظهر فيها المواطنة بوصفها المشاركة السياسية فى شئون الحكم والأمور العامة التى تهتم جموع المواطنين.

(جـ) صورة الليبرالية الجديدة: هى المواطنة بمفهومها التحررى وبوصفها وضعية قانونية. وهى وإن كانت جديدة ترتبط بالليبرالية الكلاسيكية (التحررية التقليدية)، وترتكز على مفهوم أن المصلحة الشخصية هى الدافع الأساسى المحرك للمواطنين.

(د) صورة الليبرالية الاجتماعية: تهدف إلى أن تسود المساواة كل البالغين فى نطاق الدولة سواء فى الحقوق المدنية أم الاجتماعية مقابل المساواة فى الالتزام بالواجبات ويحصل المواطنون على أكبر قدر من التحرر ليمارسوا حقوقهم.

المواطنة الفعالة:

إنها صورة فريدة غير الصور الأربع السابقة، وهى الصورة المثالية التى ينبغى أن تكون عليها المواطنة حتى تحقق غايتها. وبصرف النظر عن الصور الأربع التى أظهرتها الدراسات على النحو السابق فإنها أى كل منها تمثل صورة غير متكاملة وبالتالى غير فعالة. أما المقصود بالمواطنة الفعالة فهى التى تمكن كل مواطن من ممارسة حقوقه والالتزام بواجباته بفاعلية ولا يقتصر الأمر على مجرد مفهومها النظرى، فالعبرة أساساً بتطبيقها وواقعها الفعلى، وهو الذى يعطيها الأهمية ويجعلها مستهدفة فى النظم الحديثة، ويأخذ نموذج من المواطنة الفاعلة بين الجنسين (الرجل والمرأة) شكلين ممكنين هما:

الأول: المشاركة المتساوية فى صنع القرار فى الدولة من النساء والرجال.

الثانى: المشاركة الاقتصادية والاجتماعية المساوية بين الجنسين.

وباختصار نحتاج إلى مشاركة أفضل من النساء فى الشئون السياسية حتى نصل إلى صورة من صور المواطنة الفاعلة، وهى:

صورة المواطنة صديقة المرأة:

هى مواطنة تؤثر شعورياً فى النساء فيكون بوسعهن الالتزام بها راضيات فيصبحن فاعلات والحقوق هى شرط المواطنة بتوفير حصولها للمرأة، ولا يكفى مجرد الحصول عليها، فالمطلوب للفاعلية ممارسة هذه الحقوق إذ إن المشكلة هى أن المرأة لا تمارس هذه الحقوق على المستوى، وبالتأثير نفسه كما يمارسها الرجل. وبممارسة المرأة لهذه الحقوق ستصبح المرأة مواطناً أقوى، وهى جزء حاسم ومهم من ممارسة المواطنة.

العوامل التى تنخر فى المواطنة (أعداء المواطنة):

تعانى المواطنة أزمة تعوق مسيرتها وتناوئ ممارستها وتتمثل المعوقات فيما يلى:

١ - نمو الادعاء بأن هناك معايير تفوق أهميتها وأولويتها معايير الدولة والقومية، وهى المعايير التى تكمن فى ضمير المواطن متأثراً بتعاليم الأديان.

٢ - وقوع مفهوم المواطنة بين مفهومين متعارضين متباعدين بعداً كبيراً ومهماً.

مفهوم المواطنة: هو تعلق المواطن بموطنه باعتباره منشأ مولده ومحل إقامته وأسرته وجيرانه وأصحابه وأحبابه.

مفهوم العولمة: بما استحدثته أجهزة العلم الحديثة من وسائل الاتصالات الإلكترونية (الكمبيوتر والنت والموبايل) مما قارب بين دول العالم وجعل العالم كأنه بلد واحد.

وهكذا وقع المواطن بأحاسيسه ومشاعره فى المتناقضات والمتنافرات مما أثر تأثيراً بالغاً فى مواطنته وتجاوزت عواطفه وأفكاره فى جانب كبير منها إلى المواطنة المحلية الضيقة تارة وإلى العولمة الشاسعة المترامية التى قربتها له التكنولوجيا تارة أخرى.

أهم الحقوق التى تمنحها المواطنة:

تتضمن المواطنة – وتضمن للمواطن – حقوقاً أساسية شاملة حقوقاً أخرى هى:

المساواة: تنعكس فى العديد من الحقوق كالتعليم والعمل والجنسية والمعاملة المتساوية أمام القانون والقضاء.

الحرية: تشمل: حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية وحرية التنقل وحرية الحوار والمناقشة والرأى، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمى المنظم مثل (التظاهر والإضراب

حسبما ينظم القانون)، وتأسيس والاشتراك في الأحزاب أو الجمعيات الأهلية.

المسؤولية الاجتماعية: تتضمن كثيراً من الواجبات (دفع الضرائب وتأدية الخدمة العسكرية واحترام حرية الآخرين وخصوصيتهم).

أهم حقوق المواطنة في الإسلام:

إن الشريعة الإسلامية لا تعارض الحقوق السابقة التي تمنحها المواطنة في الدولة الحديثة فهي لا تخالف مبادئها، بل هي في الحقيقة تطبيق واقعي لها. وإلى جانب ذلك فإن المواطنة في الإسلام تنبثق عنها حقوق أخرى أصيلة أهمها ما يحفظ الضرورات الخمس بشكل أساسي، وهي: (حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال) فضلاً عن حقوق حفظ التحسينات وحقوق حفظ الكماليات مما يبين أن الشريعة الإسلامية تتسامى في منح حقوق المواطنة متجاوزة الضروريات إلى التحسينات ثم انتهاء بالكماليات متمشية مع جميع مستويات المجتمع المسلم من المواطنين ملبية لجميع متطلباتهم في الحياة، وفي الوجه المقابل تفرض المواطنة في ظل الإسلام على مواطني دار الإسلام

واجبات والتزام تعاون على حفظ هذه الحقوق وعلى فاعليتها مما يجعل مستوى المجتمع المسلم فى أسـمى درجات التحضر والرقى.

المرأة والمواطنة:

لقد تعرضت حقوق المرأة وهى نصف أى مجتمع للانتهاك تدرج تحته القضايا الآتية وإن كانت بدرجات متفاوتة فى حدتها.

وهذا الانتهاك تدرج تحته القضايا الآتية:

قضايا الزواج والطلاق: الزواج المبكر، الختان، الضرب والعنف والصحة الإنجابية – نقص وسوء تغذية الحوامل، انخفاض الخصوبة، زواج الأقارب والأمراض الوراثية، مشاكل الطلاق بأنواعه المختلفة وآثاره وانعكاساته.

قضايا الجنس: تتمثل فى رؤية المجتمع للمرأة رؤية جنسية وتأخذ الصور الآتية:

ظهور المرأة مبتذلة فى الإعلانات التليفزيونية والصحفية والسينمائية والمسرحية والتحرش الجنسى والاغتصاب. وتعريض المرأة كسلعة فى سوق الشهوة والمتاجرة بالجسد دون النظر إلى إنسانيتها.

قضايا العمل : على رغم أن القانون والدين يعطيان المرأة حق العمل لكن البعض يعتبر خروجها متعارضاً مع حق زوجها عليها ، وأنه يؤدي إلى الفتنة وفساد الأخلاق ويتعارض مع الدين.

أسباب ضرورية لعمل المرأة هي:

١ - توسيع أفقها وتنمية شخصيتها.
٢ - مساعدة من يعولها أو إعانة نفسها وأطفالها عند فقد العائل.

٣ - النهوض بالمجتمع باعتبارها نصف طاقته.

معوقات تمتع المرأة بحق الحرية في ظل المواطنة (تحرر المرأة):

- ١ - انتشار دعوة عودة المرأة إلى المنزل.
- ٢ - افتراض ضعف المرأة الجسماني.
- ٣ - الأمية وضعف فرص التعليم.
- ٤ - تفسير النصوص الدينية بشكل ليس في صالح المرأة.
- ٥ - استكانة المرأة وقبولها دور المستضعفة.

اقتراحات لتحقيق المواطنة للمرأة:

- ١ - معالجة المشاكل دون تخوف من الفكر الديني.

٢ - مواجهة المفاهيم والتفسيرات الخاطئة التي يموج بها المجتمع.

٣ - معاونة الإعلام فى تقديم نماذج للمرأة باعتبارها إنساناً له مكانته وحاجاته ونجاحاته.

٤ - تفعيل دور الجمعيات الأهلية باعتبارها متغلغلة فى جماهير المجتمع.

٥ - مقاومة أشكال الانتهاكات التى تتعرض لها المرأة بسبب نوعها كالعنف واستغلال الجسد.

٦ - توجيه رعاية صحية خاصة للمرأة فيما يتعلق بالصحة الإنجابية والأمومة والطفولة.

٧ - تمكين المرأة الفقيرة من الحصول على القروض المساعدة على التنمية المستدامة.

٨ - تفعيل دور المجلس القومى للمرأة ليؤدى دوره فى مواجهة قضايا المرأة بالحلول.

المرأة والمواطنة فى دار الإسلام:

أنصف الإسلام المرأة إنصافاً كبيراً وأعطاهما الكثير من الحقوق فى ظل مواظنتها الإسلامية، والتى لم تكن لتنالها لولا الإسلام، ولنضرب لذلك الأمثلة الآتية:

١ - لم يرفض الإسلام ولاية المرأة إذا كانت تمتلك الكفاءة التي تؤهلها لذلك ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١).
٢ - لم يعترض القرآن الكريم على وجود امرأة تحكم وتملك «ملكة سبأ».

٣ - حدث في بعض البلاد الإسلامية حديثاً ولاية المرأة بنجلاديش وباكستان.

٤ - اشتركت النساء في بيعه العقبة ومنهم أم عماره وأسماء بنت عمر.

٥ - ردت امرأة سيدنا عمر بن الخطاب عندما أراد تحديد المهور فصوب رأيها قائلاً: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

٦ - أشارت أم سلمة على النبي ﷺ بحلق رأسه في صلح الحديبية مما جعل أصحابه يقتدون به فتنقضى الأزيمة، ويزول التوتر الذي سادهم.

٧ - ولى عمر بن الخطاب قضاء الحسبة فى سوق المدينة للنساء.

٨ - روت السيدة عائشة أم المؤمنين - 9 - أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ قال عنها «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء».

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

وبالمقابلة فى الدول الغربية طالبت النوعية جزءاً من المواطنة أى بأن يصبح نساء مواطنات ، ولم يكن هذا المطلوب مقبولاً ، ولم يلب خلال هذين القرنين ، وكانت هذه الخصائص النسوية تحدياً يضع النساء فى علاقة تتناقض مع المواطنة أو فى أفضل الأحوال مفارقة وتتعارض معها.

مقترحات وتوصيات عامة:

١ - الحاجة ماسة إلى تعميق مفهوم الانتماء باعتباره وسيلة عملية تطبيقية للمواطنة. فالوضع الحالى خاصة بين الشباب مشتت الفكر والاتجاهات يتمثل فى عدم القدرة على إعطاء معنى دقيق للانتماء. وإن البحث اليائس عن معنى الانتماء قد ينتهى بالشباب خاصة إلى الخضوع إلى أشكال من العصبيات والتطرفات الموغلة فى الغرابة وأصدق مثل عليها التحزب لنوادى كرة القدم أو لفرقة من الفرق الرياضية.

٢ - من مقتضيات المواطنة الارتباط الوثيق بالميراث التاريخى والثقافى والاستشعار بالمواطنة ذاتياً وإشعار الآخرين بها بأن يطمع المواطن ألا يكون أكثر من مواطن ولا يرضى عن أى شخص يكون أقل من ذلك.

٣ - لا يمكن استثناء أى مؤسسة رسمية كانت أو غير رسمية من تعميق وتربية معنى الوطنية التى هى العاطفة الفاعلة للمواطنة، وإن كانت أدوار هذه المؤسسة تختلف من حيث الوظيفة والأهمية التى تؤديها نظراً لطبيعة المسؤولية التى تمارسها هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن ممارسة المواطنة وتنميتها لا يمكن أن يكتب لها الدوام والاستمرار ما لم يكن هناك تكامل وتضافر وتنسيق بين جهات المجتمع المختلفة.

٤ - كما أن ممارسات المواطنة المطلوبة على المستوى الاجتماعى تحتاج إلى قنوات لتفعيل معناها من خلال الأجهزة والإدارات الاجتماعية والمحليات.

٥ - يلزم من خلال الأسرة باعتبارها البيئة الأولى لتنشئة الطفل وتقع عليها بداية مسئولية تربيته. فمن أولويات هذه التربية تربية معنى المواطنة حتى يكون غرسها قوياً وراسخاً فى الأعماق، ولا تقوى الهزات على زعزحته بعد ذلك. ولكن الآباء والأمهات قد لا يملكون أحياناً من المهارات والثقافة العلمية ما يؤهلهم لأداء هذه المهمة والقيام بهذه المسئولية مما يستلزم ضرورة تدريبهم وتفهمهم دورهم وذلك واجب مؤسسة «إدارة الرعاية الأسرية» التابعة لإدارات الشؤون الاجتماعية.

٦ - يأتى بعد ذلك دور المؤسسة التربوية التعليمية الذى يعد الأكثر أهمية إثر مسئولية الأسرة فى البيت وحيث يقضى الفتى أو الفتاة وقتاً كبيراً فيها ليتلقى من المعلمين والمعلمات كميات العلوم المختلفة ويلزم أن تتم تربية المواطنة ضمن هذه العلوم.

٧ - هناك النشاط اللامنهجية ومدى تفعيلها للحس الوطنى والأخلاقى ويجب أن يكون المواطن موضع الاهتمام الأكبر فيها.

٨ - للمؤسسة الإعلامية دور عظيم ومهم فى التوعية بالمواطنة وذلك بمختلف وسائلها الصوتية «المذيع» المرئية «التلفاز» والمقروءة «الصحف» والسينما والمسرح مع تنويع العرض وتغيير أساليبه بما يحقق هدف التوعية ويعمق مفهوم المواطنة ويحولها إلى سلوك وممارسة ومشاركة.

٩ - المؤسسة السياسية بمجالسها المختلفة وما يدور فيها من حوار ومناقشات، وما يصدر فيها من قوانين، وما تنشره حولها من أفكار يجب أن يكون للمواطنة فيه غالبية عظمى فليس هناك بعدها من أهمية حتى يسود الوطن والمواطن

الأمن والأمان والحب والوفاء بما يتحقق له من المواطن المثالى
الواعى الممارس للمواطنة ممارسة فعالة تحقق الآمال وتبنى
المستقبل للأجيال.

هذا وبالله التوفيق

المراجع

(أ) القرآن الكريم.

(ب) الأحاديث النبوية الشريفة.

١ - الحافظ المنذرى، الترتيب والترهيب، الجزء الثالث.

٢ - سنن الترمذى، شرح ابن العربى المالكى، طبعة أولى سنة ١٣٥٠هـ.

٣ - مسند الإمام أحمد بن حنبل.

معاجم:

١ - أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور «لسان العرب» بيروت دار صادر.

٢ - الإمام فخر الدين الرازى «مختار الصحاح».

كتب دينية:

١ - سيرة ابن هشام - مكتبة البابى الحلبي - الطبعة الثانية.

٢ - محمد حسين هيكل «حياة محمد».

٣ - مصطفى صادق الرافعى «الإسلام ومشكلات العصر» طبعة أولى بيروت سنة ١٩٣٣م.

٤ - مجموعة رسائل الإمام حسن البنا - بيروت المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر.

٥ - سيد قطب «معالم في الطريق» - بيروت دار الشروق.

٦ - سمو الأمير الفضل ، الوثيقة البيضاء والأسرة الدندراوية «تكوين وكيان».

كتب قانونية:

١ - د. محمود سلام زناتي «مبادئ القانون أو المدخل لدراسة القانون».

٢ - د. محمد حافظ غانم - الأصول الجديدة للقانون الدولي العام (جزء ثان).

٣ - عبد الحميد أحمد غريب «سلسلة غريب للثقافة القانونية» - نخبة من رجال القانون - طبعة أولى - مكتبة غريب بالفجالة.

٤ - محمد سليم العوا «أصول النظام الجنائي» - طبعة أولى - دار المعارف سنة ١٩٨٣م.

دراسات:

١ - د. محمد عمارة «الشيخ رفاعة الطهطاوي» (الأعمال الكاملة) - بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- ٢ - أديب إسحق «الكتابات السياسية والاجتماعية» - بيروت - دار الطليعة.
- ٣ - مقدمة لدراسة الفكر السياسى العربى فى مائة عام فى الجامعة الأمريكية ودراسة فى الهوية والوعى.
- ٤ - محمد أحمد خلف وآخرون «القومية العربية والإسلام» - طبعة ثانية - بيروت.
- ٥ - د. عبد الفتاح عاشور «منهج القرآن فى تربية المجتمع» - مصر.
- ٦ - الشيخ محمد متولى الشعراوى «فيض الرحمن فى تربية الإنسان» - طبعة الثالثة (جزء أول).
- ٧ - د. محمد عابد الجابرى، مركز الدراسات (الوحدة العربية والثقافة القومية).
- ٨ - فهمى هويدى «مواطنون لازميون» - طبعة أولى - سنة ١٩٨٥م - دار الشروق.
- ٩ - د. عبد الرحمن عميرة «رجال ونساء أنزل فيهم قرآن» - المجلد الثانى.
- ١٠ - د. صلاح مصطفى الفوال «التصوير القرآنى للمجتمع» - المجلد الأول - دار الفكر العربى.

- ١١ - عبد الوهاب خلاف «أحكام الوقف» - الطبعة الثانية - سنة ١٤٨١هـ.
- ١٢ - عبد الرحمن الشرقاوى «الفاروق عمر بن الخطاب» - الطبعة الأولى - مركز الأهرام.
- ١٣ - وهبة الزحيلي «نظام الإسلام» - منشورات جامعة بنى غازى - طبعة أولى.
- ١٤ - حسين العويدات «العرب والنصارى» - المصرية كمواطنة.
- ١٥ - سمير مرتضى «إطلالة على مسار المواطنة التاريخى».
- ١٦ - الشيخ عبد الحميد محمد على والقس فكرى رجائى «المواطنة بين المفهوم والممارسة» - دراسات منتدى حوار الثقافات.